إعداد : ياسر السيد

العدد 2446 - السنة التاسعة
الأربعاء 13 رجب 1437 - الموافق 20 إبريل 2016
Wednesday 20 April 2016 - No.2446 - 9th Year

«ألا بذكر الله تطمئن القلوب»

«الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب» ... الذكر حياة القلب، وسبيل لانشراح الصدر، بل به تجلى الكروب، وتزول الهموم، وتطرد الشياطين، ولكن لا ينبغي الذكر باللسان مع غفلة القلب وهذه الكلمات تبين منزلة الذكر من العبادات وفائدته للذاكرين.

لقد حث الدين الحنيف على أن يتصل الإنسان بربه، ليحيي ضميره وتزكو نفسه ويتطهر قلبه، ويستمد منه العون والتوفيق، ولأجل هذا جاء في محكم التنزيل، والسنة النبوية المطهرة ما يدعو إلى الإكثار من ذ كر الله عز وجل على كل حال، فقال عز وجل: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذ كرا كثيرا × وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ [الأحزاب:41-42] وقال سبحانه: ﴿ والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ [الأحزاب:35] وقال جل شأنه: ﴿ واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ [الأنفال:45] وقال تعالى: ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ [البقرة:152].

وقال سبحانه: ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ [العنكبوت:45] وقال صلوات الله وسلامه عليه: ﴿ كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ﴾ متفق عليه.

وقال صلوات الله وسلامه عليه: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وارفعها في درجاتكم، وخيراً لكم من إعطاء الذهب والورق، وخيرا لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: ما هو يا رسول الله؟ قال: ذكر الله عز وجل » رواه أحمد .

وقال صلوات الله وسلامه عليه: «من قال سبحان الله وبحمده، غرست له نخلة في الجنة » رواه الحاكم وحسنه الترمذي وصححه.

عباد الله: ذكر الله تعالى منزلة من منازل هذه الدار يتزود منها الأتقياء، ويتجرون فيها، وإليها دائماً يترددون، الذكر قوت القلوب، الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبوراً، وعمارة الديار التي إذا تعطلت عنه صارت دورا بورا، وهو السلاح الذي يقاتل به قطاع الطريق، والماء الذي يقطع به لهب الحريق.

بالذكر -أيها المسلمون- تستدفع الآفات، وتستكشف الكربات، وتهون به المصائب والملمات، زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء، والذاكر الله لا تدنيه مشاعر الرغبة والرهبة من غير الله، ولا تقلقه أعداد القلة والكثرة، وتستوي عنده الخلوة والجلوة، ولا تستخفه مآرب الحياة ودروبها، ذكر الله عز وجل باب مفتوح بين العبد وبين ربه، ما لم يغلقه العبد بغفلته.

لقد حث الدين الحنيف على أن يتصل الإنسان بربه، ليحيي ضميره وتزكو نفسه ويتطهر قلبه، ويستمد منه العون والتوفيق، ولأجل هذا جاء في محكم التنزيل، والسنة النبوية المطهرة ما يدعو إلى الإكثار من ذ كر الله عز وجل على كل حال، فقال عز وجل: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذ كرا كثيرا × وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ [الأحزاب:41-42] وقال سبحانه: ﴿ والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ [الأحزاب:35] وقال جل شأنه: ﴿ واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ [الأنفال:45] وقال تعالى: ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ [البقرة:152].وقال سبحانه: ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ [العنكبوت:45] وقال صلوات الله وسلامه عليه: ﴿ كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ﴾ متفق عليه.

وقال صلوات الله وسلامه عليه: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وارفعها في درجاتكم، وخيرا لكم من إعطاء الذهب والورق، وخيرا لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: ما هو يا رسول الله؟ قال: ذكر الله عز وجل » رواه أحمد .

وقال صلوات الله وسلامه عليه: «من قال سبحان الله وبحمده، غرست له نخلة في الجنة «رواه الحاكم وحسنه الترمذي وصححه.

عباد الله: ذكر الله تعالى منزلة من منازل هذه الدار يتزود منها الأتقياء، ويتجرون فيها، وإليها دائماً يترددون، الذكر قوت القلوب، الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبوراً، وعمارة الديار التي إذا تعطلت عنه صارت دورا بورا، وهو السلاح الذي يقاتل به قطاع الطريق، والماء الذي يقطع به لهب الحريق.

بالذكر -أيها المسلمون- تستدفع الآفات، وتستكشف الكربات، وتهون به المصائب والملمات، زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء، والذاكر الله لا تدنيه مشاعر الرغبة والرهبة من غير الله، ولا تقلقه أعداد القلة والكثرة، وتستوي عنده الخلوة والجلوة، ولا تستخفه مآرب الحياة ودروبها، ذكر الله عز وجل باب مفتوح بين العبد وبين ربه، ما لم يغلقه العبد بغفلته.

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: [[تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وفي قراءة القرآن، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق]].

إن الذنوب كبائرها وصغائرها لا يمكن أن يرتكبها بنو آدم إلا في حال الغفلة والنسيان لذكر الله عز وجل؛ لأن ذكر الله تعالى سبب للحياة الكاملة التي يتعذر معها أن يرمي صاحبها بنفسه في أتون الجحيم، أو غضب وسخط الرب العظيم، وعلى الضد من ذلك التارك للذكر، الناسي له؛ فهو ميت لا يبالي الشيطان أن يلقيه في أي مزبلة شاء، قال تعالى: ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ﴾ [الزخرف:36] وقال سبحانه: ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ [طه:124]. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: [الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس] وكان رجل رديف النبي صلى الله عليه وسلم على دابة، فعثرت الدابة بهما فقال الرجل: تعس الشيطان! فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ لا تقل تعس الشيطان؛ فإنه عند ذلك يتعاظم حتى يكون مثل البيت، ولكن قل: باسم الله؛ فإنه يصغر عند ذلك حتى يكون مثل الذباب ﴾ رواه أحمد و أبو داود وهو صحيح، وحكى ابن القيم رحمه الله عن بعض السلف أنهم قالوا: إذا تمكن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان صرعه الإنسي كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فيجتمع عليه الشياطين فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسه الإنسي. الإكثار من ذكر الله براءة من النفاق، وفكاك من أسر الهوى، وجسر يصل به العبد إلى مرضاة ربه وما أعده الله له من النعيم المقيم، بل هو سلاح مقدم على أسلحة الحروب الحسية التي لا تكلم؛ فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في فتح القسطنطينية : ﴿ فإذا جاءوها، نزلوا فلم يقاتلوا بالسلاح، ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله، والله أكبر فيسقط أحد جانبيها، ثم يقولون الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر. فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولون الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر فيفرج لهم فيدخلونها فيغنمون ﴾ الحديث رواه مسلم في صحيحه .

من وصايا المصطفى

حب المساكين

الإسلام دين المودة والرحمة، يحرص أن يوجه عباد الله جميعًا إلى حب بعضهم بعضا، وساوى بين الغني والفقير فلا فضل بينهما إلا بالتقوى، وقد وجهنا الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم إلى حب الفقراء والمساكين فأوصى صلى الله عليه وآله وسلم الصحابي الجليل سيدنا أبو ذر الغفاري وقال له بعد أن ذكر له جملة وصايا: «أحب المساكين وجالسهم ولا تنظر إلى من هو فوقك وانظر إلى من هو دونك».

الله سبحانه وتعالى خلق الناس متفاوتين في الرزق وفي المكانة الإجتماعية، وهذه سنة الكون، ولكن في نفس الوقت وصى الغني على الفقير، ووصى ذوي الجاه على من ليس له جاه، فوصانا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن نضع المساكين في حسباننا، وأن نحبهم، وندنو منهم، ونتفقد أحوالهم، ونسعى في قضاء حاجاتهم، ومراعاة مصالحهم، تخفيفا عليهم من وطأة الفقر، ومشاركة لهم في همومهم، وثقل أعباء الحياة.

ومحبة المساكين والفقراء ومجالستهم والدنو منهم واستشعار ما هم فيه من العناء لها أثرها في قلب المؤمن عظيم، فنحن دائما ما نجد أنفسنا متعبين في هذه الحياة، وننسى أن هنالك من هو أشقى منا، لذا فإن محبتهم هي أصل الحب في الله تعالى؛ لأنه ليس عندهم من الدنيا ما يوجب محبتهم لأجله، فلا يحبون إلا لله عز وجل، والحب في الله من أوثق عرى الإيمان، وهو أفضل الإيمان.

قال حبيبنا صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»، والحب في الله جزء منه محبة المساكين والذي يجعلنا نتذوق حلاوة الإيمان قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان»، ومنها: « وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله».

ومحبة المساكين وتقريبهم والاهتمام بهم من أسباب القرب إلى الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، وبهذا وصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمنا عائشة رضي الله عنها فقال لها: «يا عائشة أحبي المساكين، وقربيهم، فإن الله يقربك يوم القيامة».

وذلك لأن المساكين الصابرين المؤمنين مقربين إلى الله يوم القيامة، فإذا اجتمع في الشخص إيمان مع فقر ارتفعت منزلته في الدنيا بقوة صبره وإجابة دعائه، وفي الآخرة بتشفيعه في الناس وعلو منزلته؛ لأن فقره كان سببا لتواضعه ولين جانبه، ولذلك ينبغي حب المساكين والقرب منهم، فإن أحببتهم كنت متواضعا أما إن تكبرت عن أن تجلس معهم، حُشرت مع المتكبرين والعياذ بالله.

وبالمساكين والفقراء يرزق الأغنياء، وبالضعفاء ينتصر الأقوياء، يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم». وذلك لأن الضعفاء أشد إخلاصا في الدعاء، وأكثر خشوعا في العبادة، لخلاء قلوبهم عن التعلق بزخرف الدنيا.

وقال بعض الأولياء الصالحين أن المساكين يقصد بهم كذلك المفتقرين إلى الله سبحانه وتعالى والمنكسرين له الذين خلعوا ثياب العجب والكبر وأتوا إلى الله طائعين مستسلمين، لذا نجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان كثيرًا ما يدعو فيقول: «اللهم أحييني مسكينا وتوفني مسكينا، واحشرني مع المساكين».

فأحلى معنى للإيمان تتذوقه في حياتك يوم ينكسر القلب لله، يوم تحس أنك ذليل بين يدي الله ليس فقر أموال، لكنه فقر مطلق، فقر في كل شيء، كل ذرة فيك تحتاج إلى الله يقول تعالى: «يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد».

فاعمل بما أوصى به الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم حينما قال: «أحب المساكين وجالسهم وانظر إلى من تحتك ولا تنظر إلى من فوقك، فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عندك».

وانظر إلى من هو أدنى منك في أمر دنياك من المساكين في الفقراء، عندئذ تجد أن الله سبحانه وتعالى أعطاك نعما لا تعد ولا تحصى، لأنه من دخل على الأغنياء غير المؤمنين، خرج من عندهم وهو على الله ساخط، أما إذا جالست المساكين والفقراء ورأيت حالهم استحضرت نعم الله عليك فيشكر قلبك وروحك قبل لسانك على ما أنعم به عليك.

أما في أمر الدين فانظر إلى من هو أعلى منك مقامًا وتدينا وصلاحًا حتى تنشط روحك وتقبل على العبادة والتقرب من الله سبحانه وتعالى وتترقى في مدارك القرب إلى الله عز وجل.

النصائح العشر الذهبية

1. اقرأ كل يوم ما تيسر من القرآن ، وأكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

2. حافظ على الصلوات الخمس وصلاة الليل وصلاة الضحى ولو ركعتين .

3. أد الزكاة المفروضة عليك وتصدق كل يوم ولو قليلا ، فإن لم تجد فبكلمة طيبة ، وصم رمضان وثلاثة أيام من كل شهر .

4. ألا تحب أن تكون ممن يحبهم الله ؟ فأحبب نبيك محمدا صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وبالوالدين إحسانا .

5. ألا تحب أن تكون ممن يقول : يا رب ، يا رب ، قال الله تعالى : لبيك عبدي ، سل تعطه ؟ فأطب مطعمك تجب دعوتك ، وانتصف الناس من نفسك ، وخالق الناس بخلق حسن .

6. ألا تحب أن تكون ممن تستجاب دعوته وتتلألأ صحيفته نورا يوم القيامة ؟ طهر قلبك وأكثر من قول لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله .

7. ألا تحب أن تكون من الحامدين الشاكرين المقربين ؟ فإنه إذا قال العبد الحمد لله ، قال الله : حمدني عبدي وشكرني . فاستكثروا من قول : الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

8. ألا تحب أن تكون من الشاكرين وأن يصلح الله ذريتك ؟ فعليك بآيتي الشكر :

• (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) (1) .

• (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين) (2) .

9. ألا تحب أن أدلك على ما يجمع لك أمر دينك وأمر دنياك ؟ فاعمل ما استطعت بأمر الله . (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) (3) .

10. ألا تحب أن أدلك على قلب كل شيء ؟ (قل آمنت بالله ثم استقم) .